الموقف الرسمي السوفيتي من قيام الحرب العراقية - الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) في الصحافة السوفيتية

أ.م.د. آلاء عبد الكاظم جبار حسين(*)

مقدمة

أسهمت العوامل الدولية والإقليمية والسياسية السوفيتية الخارجية بالمنطقة في تحديد الموقف الرسمي من قيام الحرب العراقية – الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨). وتوضح ذلك في ضوء ارتباطه بسياسة التوازن الدولي والمصالح الإستراتيجية للدول الكبرى والاتحاد السوفيتي، لاسيَّما أنَّ صُنع السياسة الخارجية وتحديد مواقفها لدولةٍ ما يتطلَّب الجمع بين الثوابت السياسية والإستراتيجية والدولية، وعن مدى تقيدها بالحاجة الضرورية للاعتماد المتبادل لتحديد تلك المواقف وتطورها في ضوء الحقائق التاريخية.

وعلى الرغم من قِدَم العلاقات العراقية-السوفيتية التي ترجع بدايتها إلى عام ١٩٤٤، فإنَّ السِّمة البارزة لها اتسمت بالتذبذب وسياسة المصالح والمتغيرات الدولية والداخلية لكِلا الدولتين، فالعراق وكما معروف بعد تأسيس دولته عام ١٩٢١ ارتبط بالسياسة البريطانية والغربية. ممَّا عد التحدي الأول الذي واجه تلك العلاقات وتحديد مساراتها ومواقفها الرسمية في ضوء الإدراك السوفيتي للحفاظ على مصالحهِ في العراق والمنطقة، الأمر الذي أكَّدته الصحافة السوفيتية التي عكست تلك المواقف واتجاهاتها الرسمية، وعدَّت الحرب العراقية - الإيرانية التي حدثت في ثمانينيات القرن الماضي مظهراً بارزاً في توضيح ذلك، وعن مدى قُرب السوفيت من المواقف الدولية بنحوٍ عام، حتَّى وصفت تلك المواقف بالحيادية هو عكس ما كان يجب أن يقوم بهِ السوفيت من التدخل إلى جانب أحد الطرفين، ممَّا أدى إلى تعاظم الدور الأمريكي وتعزيز مصالحه في العراق وإيران، وغيرها من المبررات التي منحها السوفيت لأنفسهم بالنسبة لطرفي النزاع بصرف النظر عن الثوابت والأُسس الموضوعية

(*) جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية.
Alaa.k@uokerbala.edu.iq

لتحديد تلك المواقف، بمعنى أوسع أنَّ الحرب أفصحت عن الدور المحوري للدول الكبرى في تعاملها مع الأحداث وتطوراتها.

قُسم الموضوع إلى مبحثين، الأول بعنوان: الإطار التاريخي للعلاقات العراقية – السوفيتية (١٩٤٤-١٩٨٠)، لمعرفة الأُسس التي اعتمدت عليها تلك العلاقات من حيث التقارب والتذبذب في ضوء المتغيرات الدولية والداخلية للدولتين، لاسيَّما العراق الذي خضع لكثيرٍ من المتغيرات السياسية ذات العلاقة بنظام الحكم، فضلاً عن ملاحظة أوجه القصور لتلك العلاقات، الذي انعكس على المواقف الرسمية للسوفيت تجاه العراق تلك المدة.

والمبحث الثاني بعنوان: الموقف الرسمي السوفيتي من قيام الحرب العراقية – الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) في الصحافة السوفيتية، حيث مثَّلت الصحافة السوفيتية المرآة التي عكست سِمات تلك المواقف، لاسيَّما أنَّ تلك المدة شَهِدت تحولاً واضحاً في مسار السياسة الخارجية إثر وصول غورباتشوف إلى المركز القيادي في الاتحاد السوفيتي، وتبنيه سياسة الإصلاح السياسي التي عُرفت (بالبروتسيكا)، وكان من الطبيعي انعكاس ذلك على المواقف الرسمية للسوفيت في ظل تبني منظومة قيمية وسياسة جديدة اعتمدت على التقرب من الغرب، وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية التي حاولت إخضاع المواقف الرسمية للسوفيت وفقاً لحركة سياستها الخارجية وسياسة التوازن الدولي لتحديد مضامينها السياسية والدولية.

وهنا تكمن أهمية الموضوع وضرورة دراسته، لإعطاء أولوية قصوى لتغير تلك المواقف وتحديد أهدافها، بما يتوافق مع المصالح العراقية.

اتبع الباحث المنهج التاريخي التحليلي لمعرفة الحقائق التاريخية التي بُنيت عليها تلك المواقف، والمنهج السياسي التحليلي لفهم طبيعة تلك المواقف وتحديد أدوارها، وما كان يجب العمل بهِ من قبل السوفيت لتحديد المواقف الصحيحة والمتيقظة مع العراق كدولةٍ لها عمقها الإستراتيجي والمهم على الصعيد العربي والإقليمي بعيداً عن المصالح السياسية والدولية التي تنتهجها الدول الكبرى، فالدراسة بطبيعتها تُعد من الدراسات النقدية لتحديد مظاهر الضعف التي رافق تلك المواقف وسُبُل إصلاحها.

الكلمات المفتاحية: العلاقات العراقية – السوفيتية، موقف الاتحاد السوفيتي، الحرب العراقية – الإيرانية، الصحافة السوفيتية.

المبحث الأول

الإطار التاريخي للعلاقات العراقية - السوفيتية

(١٩٤٤-١٩٨٠)

إنَّ تعامل الدول مع بعضها البعض ومعرفة وجودها ومقاصدها السياسية والدولية في البيئة المُحيطة بها، تعبير عن مدى تكيف منظومتها السياسية وسياستها الخارجية وقدراتها المادية ذات التأثير، أو ما يُطلق عليه مبدأ التكافؤ، أو التقارب مع الدول الذي كثير ما يؤدي إلى رجحان كفَّة الدول الكبرى تبعاً للأحداث والتطورات الداخلية والخارجية لدولة ما. ويجد طبيعة النظام السياسي عاملاً مهماً في ذلك[١].

وقدَّم إل هستر Hester تصوراً معقولاً أو قريباً لتلك العملية والمحددات التي يتحكم وتؤثر في سريتها على النطاق الدولي، إذ أشار ننَّ البشر نظموا أنفسهم في نُظُم وطنية Na-tional Systems ذات هويات مميزة كوَّنت النظام الدولي، وفي الوقت الذي يكون للدول وجودها المميز في تفاعلاتها مع العالم الخارجي، فإنها لا تستطيع أن تبقى منعزلةً مع بعضها البعض، وهذا يعني أنَّ الدولة كوحدة سياسية، أو نُظُم وطنية، تكون على استعداد التفاعل مع الأحداث والتفاعلات الخارجية ومن حيث التأثير وحسب مصالحها الوطنية والخارجية، أو قد تكون استجابات لحفظ النظام السياسي نفسه[٢]. وعزَّز من ذلك أنَّ الدول الكبرى شكَّلت منذ البداية الجانب المحوري بسبب طبيعة مصالحها وأهدافها الإستراتيجية الخارجية، أو كنوع من الوظائف والالتزامات التي تعمل بها، من دون النظر للقواعد الموضوعية والصحيحة في العلاقات الدولية مواقفها المطلوبة، فالمهم تحقيق أهداف محدَّدة التي تتحول فيما بعد إلى سياساتٍ شرعية خارجية لتحقيق مصالحها وفقاً لأولويتها[٣]، وثمَّ السيطرة على الدول الضعيفة والمضطربة وجعلها متوافقة مع تلك السياسات[٤]، من دون التفكير في الحفاظ على سياستها الوطنية، ممَّا يمنح الدول الكبرى الفرصة في الحفاظ على مصالحها، الذي يرافقها صفة الإلزام لتنفيذ القرارات الدولية، حتَّى وإن تطلَّب الأمر الإخلال بالسيادة الوطنية والسيادة الوطنية والهيبة لتلك الدول[٥].

تُعد المتغيرات والتطورات الدولية بحسب أهميتها عاملاً أساسياً في تغيير تلك المظاهر وتحديد أسبقيتها ووفقاً لخياراتٍ أُعدت مسبقاً كتكوين تاريخي بدأ منذ منتصف الخمسينيات حتَّى نهاية الستينيات من القرن الماضي الذي أفرز بدورهِ دورة جديدة للعلاقات الدولية ومواقفها المختلفة مع الدول الأقل تطوراً وشواهد التاريخ أكَّدت ذلك، إذ تمَّ إقرار الكثير من السياسات الخارجية للدول الكبرى مع الدول الأقل تطوراً والضعيفة، التي اتسمت بالخداع والتضليل والمواقف غير الصحيحة[٦]. والعراق واحد من الدول الذي تعرض لتلك السياسات مع الدول الكبرى، ومنها الاتحاد

السوفيتي السابق، وما تمخض عنها من نتائج مع السياسات والضغوط الدولية، وكان لذلك انعكاساته على تحديد المواقف الرسمية للاتحاد السوفيتي تجاه العراق.

والراجح أنَّ ذلك يكمن في تحقيق فكرة المصلحة interet التي تعمل الدول الكبرى على تحقيقها مع بعضها البعض وبنحو مستمر وفقاً لسياقها الزماني والمكاني والظروف المُحيطة بها[٧]. والأقرب إلى إدراك الدول الكبرى في بناء البيئة الخارجية المطلوبة من حيث طبيعة عملها وتحركاتها، لاسيَّما أنها لا تستطيع التخلي عن جذورها والبيئة التي تتحرك فيها حتَّى وإن تحددت سياساتها في مرحلةٍ معينة، الأمر الذي انعكس على سِماتها وتطوراتها على الصعيد السياسي والدولي[٨].

ترجع البدايات الأولى لتأسيس العلاقات السياسية بين العراق والاتحاد السوفيتي السابق إلى النصف الأول من أربعينيات القرن الماضي وتحديداً في شهر أيلول ١٩٤٤. وكانت بدايتها بصيغة مفوضية[٩]. واستمرت وفقاً لأُطرها السياسية والدبلوماسية لمدة أحد عشر عام، إذ تمَّ قطع العلاقات بين الدولتين في السادس من تشرين الأول ١٩٥٥ لعدم رغبة النظام الملكي في استمرارها وارتباطه ذلك بالسياسة البريطانية التي كانت المتحكمة بذلك النظام خوفاً من انتشار الفكر الشيوعي وما يُفضي ذلك من نتائج غير محسوبة، ومع ذلك أسهمت السياسات الدولية التي أفرزتها القطبية الثنائية (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي)، ومراكز النفوذ عوامل أساسية في ضرورة العمل على استمرار تلك العلاقات[١٠].

إنَّ المراجعة التاريخية للعلاقات العراقية – السوفيتية توضح العناصر الأساسية واتجاهاتها الأساسية، أي مواقفها، فالسوفيت وضعوا في سياساتهم أهمية دورهم السياسي والقوة والنفوذ الذي وصلوا إليه في تحديد ذلك المواقف ولما يتمتع بهِ العراق من أهميةٍ جغرافية وسياسية والأقرب إلى منطقة الخليج العربي، ما منح الأهمية لتلك المواقف وتحديد اتجاهاتها، إلَّا أنَّ توجههم القلق بسبب الارتباطات السياسية للعراق مع الغرب جعل تلك الموقف أكثر ارتباطاً بالسياسة الدولية ومتغيراتها المستمرة وإن كانت على حساب المصالح الخاصة بهِ[١١]، الذي يعني أنَّ على السوفيت إدراك الضرورة في علاقاتهِ المشتركة مع العراق بصرف النظر عن المتغيرات الدولية واتجاهاتها[١٢].

انتكست تلك العلاقات في السادس من تشرين الأول عام ١٩٥٥، إثر توقع العراق على اتفاقية حلف بغداد الذي تمَّ بمباركة بريطانيا وضم الدول التي كانت تعمل في ظل سياستها والمصالح الخاصة بهِ كحلف يعمل على الضد من توجهات السياسة السوفيتية ومصالحها في المنطقة، وسرعان ما انضمت له الولايات المتحدة الأمريكية كتوجه سياسي ودولي في تلك المرحلة لمُجابهة المد الشيوعي في المنطقة[١٣]. الذي انعكس بدوره على المواقف السوفيتية تجاه العراق، إلَّا أنَّ قيام

ثورة ١٤ تموز في العراق عام ١٩٥٨ التي كان في أولويتها استقلالية القرار السياسي للعراق، حيث تمَّ إلغاء مشاركة العراق في الحلف المذكور، وتعزيز العلاقة مع الاتحاد السوفيتي، وفي إطار هذهِ المعادلة التي تحدَّدت بالخارج وتوازناته من جهة والوضع الداخلي ومتطلَّباته وتوجهاته الجديدة، ما أفضى على تحديد المواقف الرسمية من قبل السوفيت بنحوٍ أفضل من السابق، وضرورة الأخذ بنظر الاعتبار الموجبات الداخلية التي يجب أن تحدد قدراته وصياغته للعمل الخارجي[١٤]، فضلاً عن ذلك أثر الرأي العام السوفيتي على صُنَّاع القرار في بلادهِ، الذي لا بدَّ أن يؤدي في الأخير إلى مزج طرفي المعادلة والعمل على الترجمة الفعلية لتحديد المواقف الرسمية التطبيقية الصحيحة مع مراكز القوى الدولية في ضوء التصويت السوفيتي على القرارات التي تناقش أمام الهيئة العامة للأمم المتحدة ولجانها ومجلس الأمن التي تتعلَّق بالقضايا العراقية[١٥]، لاسيَّما أنَّ السوفيت كانوا مقتنعين أنَّ مواقفهم الرسمية وأدوارهم يتطلَّب جعل العراق أحد العناصر الأساسية في عملية التوازن الإقليمي، في المنطقة في ظل تزايد النمو الأمريكي في المنطقة والعالم وأثر ذلك على مصالحهم ونفوذهم وعدم الاستقرار في المنطقة[١٦]، بمعنى ضرورة إدراكهم مسؤولية تحديد المواقف وأهميتها لما تشكله من أهمية في العمل السياسي والسياسة الخارجية والدولية[١٧]، والذي يجب العمل بموجبه سوءاً مع العراق وغيره من الدول لغرض الحفاظ على المصالح المشتركة بين الدول، إلَّا أنَّ واقع الحال أفرز غير ذلك وتوضح ذلك في الموقف السياسي المؤيد والمُساند للحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٦١ وعلاقته مع القوى السياسية الأخرى، ممَّا عد العراق ذلك تداخلاً في شؤونه الداخلية، لاسيَّما أنَّ العراق أكَّد بعد قيام الثورة باستقلالية قراره السياسي الخارجي والداخلي بعيداً عن التدخلات الخارجية واتجاهاتها[١٨]. وإنَّ حكومة الثورة كانت تعمل على الحفاظ على توازن القوى السياسية وعملها بصورةٍ مجتمعية من أجل مصلحة الوطن وللحفاظ على الثورة واستمراريتها، والحزب الشيوعي كان يعلم بذلك ويُدركه[١٩].

كان من الطبيعي فتور العلاقات بين الدولتين والمواقف المرتبطة التي أخذت تشهد نوع من التراجع، إلَّا أنَّ الأمر تغير بعد انقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣، إذ سارع الاتحاد السوفيتي إلى الاعتراف بالنظام السياسي الجديد وتحديد مواقفه بنحوٍ جديد، واتخذ من عدم التدخل في الشؤون الداخلية للعراق مظهراً في ذلك التوجهات على الرغم من صغر مدَّة النظام الجديد في حكم العراق وإدارتهِ، على الرغم من صغر مدة النظام الجديد لم تتجاوز أشهر معدودة في الحكم[٢٠]. الموقف الذي استمر حتَّى انقلاب البعث الثاني في ١٧ تموز عام ١٩٦٨[٢١]. لبدء مرحلة من العلاقات المتميزة ومواقفها في ضوء الإسناد السياسي والرسمي للسوفيت للنظام الجديد نظراً لما أفصحه الأخير من سياسة واتجاهات

فكرية مُعادية للغرب، وتوجت تلك المظاهر بعد مرور أربع سنوات من هذهِ التطورات بتوقيع معاهدة ١٩٧٢ التي منحت السوفيت الكثير من الحقوق والامتيازات، ومنها السماح بتواجد عسكري للسوفيت في أوقاتٍ معينة في مدينة البصرة وبالقرب من منطقة الخليج العربي كمدخل للتواجد في المياه الدافئة المنطقة الحيوية من العالم، فضلاً عمَّا أفضت إليه المعاهدة من تعاونٍ اقتصادي وعسكري بين الدولتين[٢٢].

عُدَّ العامل السياسي عنصراً أساسياً في السياسة الخارجية السوفيتية في علاقاتها ومواقفها مع العراق، إذ سرعان ما عاد الارتباط إلى المواقف السوفيتية، فقد جددوا موقفهم المؤيد للحزب الشيوعي العراقي في عام ١٩٧٨، ومن الضروري أن تنتبه الحكومة العراقية لذلك. وهو في حقيقتهِ تدخلاً في الشؤون الداخلية العراقية وطريقة تنظيمها للعمل السياسي في البلاد، والذي لا يمكن المناقشة أو الإشارة إليه بصرف النظر عن الجهة والدولة حسب التوجهات السياسية للنظام السياسي الجديد والذي استمر حتَّى عام ١٩٨٠ التاريخ الذي جسَّد مرحلة جديدة عن طبيعة العلاقات بين الدولتين ومواقفها في ضوء مضامينها السياسية والدولية.

وممَّا سبق نجد أنَّ المدخلات السياسية Politic input الناتجة عن مضامين السياسة الخارجية لدولةٍ ما وتطوراتها لا تعني المدخل لتحديد المواقف الرسمية واستقرارها، فالسلوك الخارجي للدولة ومصالحها يجب أن يخضع للمراجعة باستمرار، ليتم في ضوئهِ البناء الصحيح لسياستها الخارجية المطلوبة الذي لا بدَّ أن تدرك الدولة بموجبهِ مكانتها مع الدول الأخرى ذات العلاقة بتحديد مواقفها الرسمية منها، وهي في مجملها تُشكل مضامين هامَّة في صنع السياسات الخارجية للدول الكبرى في علاقاتها مع الدول الأخرى. وهو ما توضح في المرحلة اللاحقة من المواقف الرسمية للاتحاد السوفيتي في ضوء مواقفه من قيام الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨)، والذي جسَّدته بنحوٍ واضح الصحافة السوفيتية.

المبحث الثاني

الموقف الرسمي للاتحاد السوفيتي من قيام الحرب العراقية - الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) في الصحافة الرسمية

أسهمت عوامل عديدة في قيام الحرب العراقية – الإيرانية، إذ تداخلت العوامل الداخلية لكِلا البلدين من حيث الرغبة في شنِّ حربٍ محتملة بسبب اختلاف البُنى الفكرية والسياسية، ففي العراق وبعد إحدى عشر عاماً من انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، وتحديداً في تموز ١٩٧٩ تبوأ السلطة شخصية سياسية جديدة، ورغم الطبيعة الظاهرية في الانتقال السلمي للسلطة، إلَّا أنه أرَّخ لمرحلةٍ جديدة في تاريخ العراق، إذ تحول العراق من دولة الحزب الواحد إلى نظام فردي يعتمد على شخص الرئيس وأفراد عائلتهِ وجماعته المقربين

في تحول الحزب إلى منظَّمة تابعة له. كما عبَّرت الطريقة التي أوصلت تلك الشخصية للسلطة بأنَّ إرادته هي التي ستسود[٢٣].

حدثت تلك التغيرات في مواجهة ثورة إسلامية عنيفة ومبشرة بأفكار جديدة انطوت على تهديدات أكثر قرباً من النظام السياسي الجديد والدولة في العراق، وجاء خطاب إيران من الشدة في تحديد تلك المظاهر وما رافق ذلك في زيادة تعبئتها العسكرية والهجمات الحدودية المستمرة كعامل مضاف في ذلك، لاسيَّما أنَّ العراق في ظل القيادة الفردية ما وظَّف ذلك كواجهة للبروز الشخصي والسياسي من دون الانتباه إلى ما ستؤدي من نتائج والتأثير على البُنى الاقتصادية والتقويمية في العراق، فضلاً عن غياب الرادع للحد من تلك التوجهات والذي كان واضحاً في قرار قيام الحرب في إيران، والذي عزَّزه تأييد القيادة الإيرانية بالتأييد الواضح والحث على الإطاحة بحكومة بغداد[٢٤].

أصبح واضحاً أنَّ الحرب المُحتملة باتت قريبة، إذ سرعان ما بدأت الاشتباكات الحدودية المتقطعة بين الدولتين، الذي رافقه اتهام حكومة بغداد إيران بقصف المدن الحدودية العراقية في الرابع من أيلول ١٩٨٠، التي كانت بداية تلك الحرب. وعلى إثر ذلك قامت الحكومة العراقية في السابع عشر من الشهر نفسه بإلغاء اتفاقية الجزائر التي وقعت بين الدولتين عام ١٩٧٥، كما أصدرت قراراً بأنَّ مياه شط العرب كاملةً جزء من المياه العراقية، وحسب مصادر تاريخية أنَّ الحرب بدأت رسمياً عندما هاجم العراق إيران في ٢٢ أيلول ١٩٨٠[٢٥].

اتخذ الموقف الرسمي السوفيتي من تلك الحرب نمطاً خاصاً، وارتبط ذلك بالموقف الأمريكي، وكان للظروف الدولية بنحوٍ خاص والمتغيرات الخاصة لكِلا الدولتين، فرضت تلك التوجهات، فالولايات المتحدة لم ترغب بمساعدة إيران بسبب مشكلة الرهائن المحتجزين فيها وأعلنت مقاطعتها الاقتصادية للأخيرة، ولقد كان الأمر كذلك فهل ستساعد العراق وهو العدو رقم (١) لها من حيث مواقفه ضد (إسرائيل) والمشاريع الأجنبية، كما أنَّ مساعدتها لإيران قد يؤدي إلى مضاعفات مع الاتحاد السوفيتي والمتربص لأي تدخل أمريكي في الحرب لصالح إيران[٢٦]، فيما كان الموقف السوفيتي غير ذلك، فعلاقته الجيدة مع العراق منذ عام ١٩٥٨ والاتفاقيات الثنائية بين الطرفين لا تسمح له بمساعدة إيران وإن حدث العكس ووقف مع العراق. ما يدفع إيران إلى تصفية خلافاتها مع أمريكا. وكان ذلك مؤشراً على إعلان الحياد في تلك الحرب، إلَّا أنَّ ذلك لم يكن واضحاً، فكِلا الطرفين أخذ يراقب تحرك الآخر والبحث عن نقاط الضعف لتحديد مواقفه من جديد، والحجة في ذلك خلق الذرائع بما يُشير إلى أنَّ الحرب أخذت تُشكل تهديداً لمصالحها وأمنها القومي وغيرها من المبررات[٢٧]. وهذا يعني أنَّ الموقف الرسمي للاتحاد السوفيتي ارتبط

بالمصالح السياسية والسياسات الدولية، لاسيَّما مع الولايات المتحدة الأمريكية، وخوفاً من توسع الحرب، ممَّا قد يفرض عليهم تغيير تلك المواقف في حالة مشاركة الأمريكان في الحرب لضمان أمن الخليج العربي، وكان ذلك مثالاً غير طبيعي الذي يمكن وصفه بالسلبي حول ما يتضمَّنه الواقع الدولي من منافساتٍ وتصادم حول مستقبل التوازنات الدولية، وسعي الدول الكبرى إلى ضمان مصالحها ومكانتها في ترتيب القوة في سلَّم النظام الدولي التي ترتئيها وفقاً للسياسة الدولية ومتغيراتها الذي يعرض مواقفها وسياساتها الخارجية[٢٨]. والذي يجعل المواقف الرسمية متوافقاً مع تلك السياسات، ومقارناً لما اتخذه من مواقف الأقرب إلى السياسية وعدم المُبالاة بل وحملوا العراق بخطأ ضرب الجمهورية الإسلامية الإيرانية رداً على اعتداءاتهم المتكررة، وكان المفروض إبلاغهم بذلك. دون إدراك والنظر إلى طبيعة علاقاتهم مع العراق، ومعاهدة ١٩٧٢ الإستراتيجية، التي جاء في أحد بنودها التعاون العسكري الإستراتيجي المشترك والتشاور السياسي في الأحداث المهمة ذات العلاقة بالأمن القومي للعراق[٢٩]، وبرَّر السوفيت موقفهم الاتجاه إلى الحل السلمي لشدَّة تأثير هذهِ الحرب على الأمن والسلم الدولي[٣٠]. ممَّا شكَّل منحىً سلبياً في الموقف الرسمي السوفيتي لهم، وكان للصحافة السوفيتية دورها في نقل تلك المواقف ومضامينها.

نقلت وكالة تاس (TACC) (Camc-tozhuk) في ١٩٨٠/٩/٢٣ عن التزام دولتها جانب الصمت بعد قيام الحرب العراقية – الإيرانية، واكتفت الوكالة بإذاعة الخبر الذي وجَّهه الرئيس العراقي إلى القوات العراقية بتوجيه ضربات إلى الأهداف العسكرية الإيرانية دون التعليق عليه[٣١]. واتفقت صحف موسكو أنَّ هذهِ المعركة تخدم مصالح الإمبريالية، وعليه فإنَّ الكرملين اتضح في وقتها عن المحاولات التي قد تسمَّم الموقف الخاص بالاتحاد السوفيتي، وعليه لا زال طلب العراق بخصوص إرسال المعدات العسكرية لزيادة قوة الجيش العراقي لغرض امتلاكه زمام المبادرة ضد إيران قيد الدراسة، ولم يتم عليه لحسابات افترضتها الحكومة السوفيتية[٣٢]. وأشار البعض من المراقبين في موسكو أنَّ الحياد السوفيتي في هذهِ الحرب ممكن حسابه على تفاهم سوفيتي – إيراني للتدخل للمُساعدة في تسوية الأزمة الأفغانية، كما أكَّدت الدوائر الخاصة أنَّ التأكيدات غير المباشرة التي تعمل بموجبها الدبلوماسية السوفيتية إزاء الحرب، من الدقة في كيفية التعامل في مثل هذهِ الأحداث الحساسة التي توضحت للمُشاورات التي بدأت القيام بها مع الولايات المتحدة، ويبدو أنَّ السوفيت أدركوا ضرورة تبني المواقف المتوازنة من الدول ذات العلاقة بالدولتين. ومن الأفضل التزام مبدأ الحياد[٣٣]. وهذا ما أكَّدته جميع التعليقات التي أوردتها صحيفتي (البرافدا) prafgo، الناطقة باسم الحزب الشيوعي السوفيتي، و

(الازفستيا) U3Becmuq السوفيتيان[٣٤].

وأضافت جريدة (البرافدا): «إنَّ تصعيد حدة الحرب واستمرارها لا يخدم الدولتين بقدر ما يشجع على التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية وانتهاك للسيادة الوطنية أو الأمن القومي للدولتين وشدة التأثير على البُنى الاقتصادية والاجتماعية، وهو يثير قلقاً وحزناً كبيراً في نفوس الشعبين وضرورة التفكير من قبل الدولتين في إيقافها وعدم تصعيدها»[٣٥]. وهو بطبيعة الحال موقف لا يخلو من الحيادية لكن يحاول تقريب وجهة نظر الدولتين وضرورة إلغاء ما يسود من أفكار بين النظامين، الذي وضعهم في هذهِ الحرب في مفترق طرق والسعي إلى إسقاط بعضهم البعض. ويكون الخاسر الوحيد الشعبين. وعليه لا بدَّ من طريق التفاوض وحل الخلافات بين الطرفين ووضع القواعد الصحيحة للعلاقات وحُسن الجوار، التي تمتد جذورها إلى مراحل كبيرة من التاريخ[٣٦].

ومن المفيد أن نذكر هنا أنَّ معرفة أسباب الموقف السوفيتي من العراق ودراسته تتطلَّب نوع من القراءة الجيدة لأفعالهم، والجمع بين المتناقضات وهو الذي لا يتوافق ما يجب العمل بهِ في تحديد مواقفه الدقيقة، بمعنى النظر العراق في ضوء أهميته الإستراتيجية من حيث الموقع والقدرة في تحديد الإستراتيجيات والتوازنات الدولية وما تشكله من أهمية استثنائية للولايات المتحدة والمجموعة الأوبئة من حيث المصالح والوجود العسكري والاقتصادي لهم في منطقة الخليج العربي، فضلاً عن ذلك إحاطتهِ بعددٍ من الدول من الأهمية والتأثير في معادلة التوازن الدولي في المنطقة والشرق الأوسط[٣٧]. وما تشكله المواقف السلبية غير الواضحة، الذي قد يؤدي إلى تبدل جوهري في السياسة الخارجية العراقية من حيث علاقته بالسوفيت، وتحديد أولويتها مع الغرب الأمريكي، الذي لا بدَّ أن يؤدي إلى زيادة السيطرة الأمريكية على المنطقة[٣٨]، ويعني فقدان التوازن الدولي لصالح الأمريكان والضعف للسوفيت وعدم قدرتهم على تقليل فرص الهيمنة الأمريكية، ومعرفة دورها في تقرير الأحداث وتطوراتها، وجعل مواقفه الرسمية مع العراق من الأهمية من حيث الإدراك في تصورها الإستراتيجية[٣٩]، والراجح أنهم جعلوا اهتمامهم بالعراق الأقرب إلى النسبية أو بنحوٍ أقل وبالنسبة لهم يجب أن لا يخرج عن سياسة التوازن الدولي وإستراتيجياته، ممَّا جعل نصب اهتمامهم الرسمي ينصب في تبني المواقف المتوازنة بين العراق وإيران، ورغبتهم في ذلك برزا في الصحافة السوفيتية التي كانت تنقل تلك التوجهات وكأنهم بعيدون عن تلك الحرب وتطوراتها فصحيفة «البرافدا» نشرت في أحد تعليقاتها: «نضال العراق في الكفاح ضد الاستعمار والإمبريالية للحصول على استقلالهِ الوطني ودوره في المنظمات

التحررية، ومقاومته الأحلاف والاتفاقيات المناهضة للقضية الفلسطينية»[٤٠]. فيما تطرقت «الازفستيا» إلى ما يُشير إليه الإعلام الغربي بأنَّ أسباب الحرب «التنافس الدولي حول الثروات النفطية»[٤١]، و «كان الأجدر بالإعلام الغربي أن يوضح أنَّ هذهِ الحرب لم ترتبط بهذا السبب فقط، فجذورها قديمة ومرتبطة بقضية الحدود لم يتم تنظيمها بنحوٍ صحيح بين الدولتين، ونوهت أنَّ قيام الحرب لم يبتعد عن المخطَّطات الغربية والولايات المتحدة لزيادة فرصها في استمرار سيطرتها وتحقيق أهدافها في المنطقة»[٤٢]. ولا يبتعد عن ذلك العمل على استمرارية الحرب بين الدولتين، لاسيَّما أنَّ هذا الصراع من الصعوبة الوصول بهِ إلى نتيجة لتعقده الشديد، ممَّا جعل مصادر القرار في البلاد يبتعد عن القيام بدور الوساطة بين الدولتين[٤٣]. فالصراع حسب وجهة نظرها عملية تتعلَّق بالدولتين. وهما اللذان يستطيعان خلق التسوية السلمية والمناسبة للمشكلات العالقة بينهم[٤٤]. ونجدها في الوقت نفسه ترفض المقترحات الأمريكية لتسوية هذا النزاع مشاركة أو القيام بتحرك دبلوماسي خارجي لوضع نهاية للحرب[٤٥].

وعندما كتبت صحيفة (البرافدا) مقال بعنوان: الحرب بين (العراق وإيران)، أكَّدت على الموقف السوفيتي المتكرر، حيث شاركت القيادة السوفيتية السياسية والحزبية أنها تعد التدخل في هذهِ الحرب من الأمور التي ستُعقد الحرب، وعليه يصبح من الأفضل عدم طرح مبادرات التدخل الدولي لا يفارقها[٤٦]. ولعلَّ ما تقوم بهِ من أمريكا من خلق ظروفٍ معينة لتأزم الحرب ما يؤكد الإدراك للقيادة السوفيتية تجاه الحرب[٤٧]. وأشارت الوكالة أيضاً أنَّ الإدارة الأمريكية تخطط مع حلفائها الأوربيين وغيرهم لوضع خطَّة عن إمكانية التدخل والطرق المطلوبة لذلك[٤٨]. كما حذَّرت «البرافدا» (من التدخلات في الحرب)، والتركيز على مبدأ التفاوض في إيجاد «مخرج للحرب»، وعدم تهيئة الأوضاع لزيادة هذهِ الحرب كما يفعل، وممكن التدخل في الحرب، في الوقت الذي يجب الاعتماد على الأمريكان التروي وعدم الاندفاع، أي مزيداً من الحكمة وعدم تغليب لغة المصالح واستراتيجياتها»[٤٩]. كما ذكرت: «بأنَّ الأساليب والسياسات الأمريكية أصبحت مكشوفة»[٥٠]. وأنَّ ما يروج له الأمريكان من مفاهيم التي تُشير بأنَّ الأوضاع في العالم أقل انتظاماً عمَّا كانت عليه في السابق، كما تتسم بالغموض، وعليه يصعب أن تكون له صيغة أمرية تنظيمية واحدة، ووضع كهذا يتطلَّب مرونةً وتكيفاً وسياسات متحركة يتم الوصول إليها عن طريق أُسس عامة التي يجب أن تحظى بالتأييد الواسع من الدول كافَّة لا يتفق مع الحقيقة[٥١]، وهو عكس ما يعمل بهِ الأمريكان من سياسات التدخل في شؤون دول العالم من دون مسوغ قانوني وشرعي لغرض الهيمنة عليها وكبداية لتأسيس القيادة

الأمريكية العالمية[٥٢]. بمعنى الترويج لمبدأ عام لإقناع دول العالم يوضع أُسس ممكن يتفق عليها الجميع بفكر وتخطيط أمريكي لتحقيق سيطرتها على العالم. ويُعد الخليج العربي وما يُحيط بهِ من دول في أولويات ذلك لتأمين إمدادات الغرب من النفط عِبرَ مضيق هرمز حسب وصف الرافد[٥٣].

استمر الموقف الرسمي للاتحاد السوفيتي يتراوح في مكانهِ، فقد صرَّح زعيم الدولة والحزب الشيوعي لبوثيد برجينيف Le Brejnife، من الأفضل مناقشة الموضوع بروح الوفاق ما يمكن الاتفاق عليه بين الدولتين ويترك للمستقبل ما لا يمكن الاتفاق عليه. "في الوقت الذي يحاول البعض استغلاله لزيادة حدته في المنطقة، التي تُعد الأكثر من حيث الأهمية والخطورة بسبب ارتباطها بالاقتصاد العالمي والسيادة الدولية"[٥٤]. وهو ما دفع السوفيت إلى «رفض موافقة للتدخل في هذهِ الحرب وتقديم المساعدات العسكرية لكِلا الدولتين، والحل الوحيد لدى موسكو تأييد إيقاف فوري للحرب مهما بلغت التطورات»[٥٥]. فيما شجبت صحيفة «البرافدا» الأساليب الرخيصة التي تقوم بها أمريكا لاستغلال الحرب كذريعة للتدخل فيها[٥٦]. وأضافت وكالة أنباء (تاس) أنَّ ما تقوم الإدارة الأمريكية من قبل الرئيس الأمريكي جيمي كارتر Jeomy Kirtair يُعد خطوات مرسومة لغرض تفاقم الأوضاع وذريعة للتدخل المباشر في هذهِ الحرب، الذي تحاول الحكومة البريطانية مجاراتها في ذلك كشريك أساسي في هذهِ اللعبة، وما يخلق ذلك من مخاطر على المنطقة بالكامل، وأضافت (تاس) الرسمية، أنَّ العودة إلى جذورهِ التاريخية للمنطقة، نجد أنَّ النزاع يحدث بين دولتين من أكبر الدول المنتجة للنفط، الطامحة بهم الولايات المتحدة ومن معها، وأنَّ وصول تلك الدول إلى كِلا الدولتين أقل ما يُقال عليه أضعاف لاستقلالها السياسي والاقتصادي الذي لا بدَّ أن يحصل، فالتدخل يعني السيطرة الكاملة على الإدارة المدنية والاقتصادية للدول كونها سيتم إدارتها خارجياً وداخلياً[٥٧].

على الرغم من ذلك أشار بعض من المتابعين لأحداث المنطقة وتطوراتها أنَّ الموقف الرسمي السوفيتي يشوبه الكثير من المغالطات والبعض من الشكوك، إذ جعل السوفيت الدولتين في حيرةٍ من أمرهم، فالكرملين على الرغم من إعلانهِ الرسمي حياده من الحرب، إلَّا أنه أشار أمام الإيرانيين أنه لا يقر لما قام بهِ العراق من عمل عسكري، الأمر الذي أكَّدته القيادة الإيرانية، التي أوضحت بأنَّ السوفيت أوقفوا التسليح للعراق، في الوقت الذي ارتبطوا معه بمعاهدة عام ١٩٧٢. التي أقرت ذلك. ومع ذلك نجد أنَّ العلاقات الدبلوماسية بين السوفيت لم تكن بالمُستوى المطلوب، وكانوا بنظر القيادة الإيرانية والسياسية (الدولة الشيطانية) أسوةً بالأمريكان[٥٨]. والراجح أنَّ

السوفيت تحفظوا على ذلك وهو في الأعراف السياسية نوع من المُجاملة والرغبة في بدء حوار جديد مع الإيرانيين لتحسين العلاقات بين الدولتين، فيما أشارت وكالة (تاس) الرسمية أنَّ هناك فرق كبير بينهم وبين الأمريكان، فالاتحاد السوفيتي كان صديقاً وجاراً لإيران باستمرار، الأمر الذي يفترض انفراج العلاقات دون التأثر بما يروج له الآخرين لتعكير العلاقات بين الطرفين[٥٩]، وتزامن الكرملين لم يعلق على ما أشارت إليه المصادر الرسمية في إيران كونهم رفضوا تزويد العراق بالأسلحة بحسب الاتفاق المُبرم بين الطرفين[٦٠].

استمر الاتحاد السوفيتي عن طريق تلك السياسة بالضغط على الولايات المتحدة بخصوص تصعيدها للحرب، على الرغم من نفي الأخير لذلك. وجاء الاتهام إثر قيام الأمريكان والبريطانيين بمناوراتٍ عسكرية في منطقة الخليج العربي، واصفاً ذلك بالعمل غير المرغوب في هذا الوقت والذي من شأنهِ تصعيد الموقف ومنح الفرصة لشتَّى التفسيرات ونوع من الضغط بالوجود الأمريكي في المنطقة[٦١]، وابتزاز وسياسات للسيطرة على المنطقة وما الحرب الدائرة إلَّا الوسيلة التي سيتم استثمارها لذلك[٦٢]. وأنَّ الولايات المتحدة طبقاً لذلك وكأنها ترفع شعار ضرورة استمرار الحرب وحدتها، لكن لا يعني ذلك شيئاً للسوفيت حسب وصف مجلَّة الحياة السوفيتية الدولية Lutphaid Luyhun[٦٣]، إلَّا أنَّ التحليل لذلك يعني أنَّ الأمريكان يحاولون إلغاء الدور السوفيتي كونه لا يُشكل مصدراً وقرار أساسياً في مثل هذهِ الأحداث وتطوراتها[٦٤]، الأمر الذي رفضه السوفيت بنحوٍ قاطع وعدم السماح للأمريكان بفرض إرادتهم على السوفيت والآخرين[٦٥].

وشدَّد الاتحاد السوفيتي في تصريح للرئيس السوفيتي نقلته وكالة (تاس) السوفيتية، جاء فيه بالقول: «إنَّ أهم ما ترغب بهِ موسكو ضمان أمن المنطقة والمشاركة الحقيقية في وضع الحلول المناسبة لمثل هذا التطور الخطير، لغرض تأمين السيادة الوطنية والاقتصادية للدول، ونحن الأكثر اهتماماً بالموضوع على وفق رؤية تتسم بالحكمة والتروي وضبط النفس بدلاً من سياسات الاستقرار والتلويح بالتدخل لحسم الموضوع، وفي حقيقة إعادة المنطقة إلى سابق عهدها من الاحتلال والسيطرة الأجنبية»[٦٦].

واستمر الموقف الرسمي في تلك التوجهات حتَّى عام ١٩٨٥ التي اختلفت نوعاً ما إثر تغير الوضع الداخلي السوفيتي إثر وصول ميخائيل غورباتشوف Mkar Bitshof للسلطة السوفيتية[٦٧]. إذ بدأت القيادة السوفيتية تدرس الحرب العراقية – الإيرانية في ضوء تأثيرها على السلم والأمن الدوليين، واتخذت من الحياد الوسيلة الأكثر تأثيراً في ذلك وإن لم تقل الحجة لتنفيذ سياستها وموقفها الرسمي من الحرب[٦٨]. وفي تعليق

لوكالة (تاس) الرسمية أشارت أنَّ استمرارية الحرب والخسائر المادية والبشرية أكَّد صحَّة الموقف السوفيتي في صعوبة إيقافها في حالة استمرارها، بسبب زيادة حدَّة المواقف وتفاعلاتها الداخلية والخارجية لكِلا الدولتين وازدواجية الموقف الدولي منها. وأنَّ الدولتين هما الأكثر ضرراً، وأضافت إن حاول البعض تهدئة الأمور فهي لا تزيد عن سياسات وغايات هدفها الأساس استمرارها للحصول على المكاسب الاقتصادية والسياسية، من دون التفكير في شدَّة تأثيرها على الأمن والسلم الدولي[٦٩]. وأشارت في تاريخ لاحق أنَّ وقف الحرب مرتهن بالدولتين، وعليهم التفكير في ما آلت إليه الحرب من خسائر مادية وبشرية وشدَّة تأثيرها على معدلات النمو الاقتصادي التي أخذت تزداد سوءاً يوماً بعد آخر[٧٠].

أقل ما يوصف بهِ الموقف السوفيتي إزاء الحرب التحلل من التزاماتهِ تجاه العراق لما تمَّ الاتفاق عليه بموجب معاهدة ١٩٧٢ الإستراتيجية، وقد عبَّروا عن طريق تلك المواقف عن رؤيتهم السياسية والدولية دون التفكير بالفعل المطلوب في تحديد نقاط التميز في الأحداث الكبيرة وتطوراتها، وأنَّ مواقفهم الرسمية ارتبطت بعوامل ذاتية وداخلية مخطَّطة ومقصودة وإستراتيجيات التوازن الدولي وسياساته، والرغبة في الحصول على مراكز النفوذ ممَّا جعل مواقفهم تفتقر إلى الجدية المطلوبة والتذبذب وبدرجاتٍ متفاوتة على الرغم من خطورة تلك الحرب على العراق وأمنه الوطني القومي، وشكَّل تنظيم المصالح مفهوماً ودالة العنصر الأبرز في ذلك، ويبدو أنَّ السوفيت لم يُدركوا بنحوٍ أكبر، وأنَّ العراق يقع في إقليم وكأنه مجال وموقع مفتوح أمام التنافس الإقليمي والدولي. وهي في اعتقادها وإدراكها السياسي سعت إلى تبني إستراتيجية تعمل على تفعيل دورها على أقل تقدير، ولم يكن موقعها الرسمي تجاه الحرب إلَّا تجسيد عمَّا نشرته الصحافة السوفيتية، ولم يُصرح بهِ القيادات السوفيتية بنحوٍ صريح واقتصرت حدوده في التأثير على السياسات الأمريكية وتهديدهم بعدم التدخل وأنها المسؤولة عن زيادة حدَّة الحرب للحفاظ على مصالحها في المنطقة، والراجح أنَّ كِلا الدولتين كانتا تعملان بتوافق من مدخلات تلك الحرب ومخرجاتها. وهو تأكيد للسياسات التي تعمل عليها الدول الكبرى في مثل هذهِ الأحداث وتطوراتها، الأمر الذي استمر حتَّى انتهاء الحرب في بداية شهر آب عام ١٩٨٨، بموجب قرار مجلس الأمن المرقَّم (٥٩٨)، وفقاً لما أرادته الدول الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الذي قابله استمرار الانكفاء السياسي السوفيتي في سلوكها الخارجي.

الخاتمة

بيَّنت المعلومات الواردة في البحث أنَّ تحديد المواقف الرسمية للدول الكبرى يرتبط بمتغيرات السياسة الدولية والثوابت الإستراتيجية التي تتعلَّق بمراكز النفوذ والتوازن الدولي، وهي بطبيعتها لا يمكن أن تعمل خارج تلك المتغيرات ومكونات البيئة التي تعمل بها وفقاً لتطوراتها، الأمر الذي جعل طبيعة العلاقات بين الدول الكبرى والدول الأخرى، ومواقفهم تتسم بعدم التكافؤ وفي أحيانٍ كثيرة تتعرض إلى ضغطٍ متزايد على استقلالية القرار السياسي وحريته في التعبير عن المصالح الوطنية وأمنها القومي، لاسيَّما الدول المضطربة وغير المستقرة سياسياً داخلياً وخارجياً على مستوى علاقتها مع دول الجوار والمُتاخمة معها، وعليه تُعد تلك العلاقات وتطوراتها ذات طبيعة مزدوجة وتقوم على الاستلاب والاستغلال. وكذا هي المواقف الرسمية التي اتخذها الاتحاد السوفيتي مع العراق منذ بدء العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين عام ١٩٤٤، وجاء قيام الحرب العراقية – الإيرانية لتؤكد تلك المضامين في تحديد تلك المواقف وجديتها، والتي اتسمت بالتردد والضعف وعدم القدرة على اتخاذ القرار المناسب في واحدٍ من أكثر الأحداث خطورةً على المنطقة وشدة تأثيره على المنظومة السياسية لدول المنطقة كونه حمل معه جدية الطرفين في القضاء على النظام السياسي لطرفي الحرب، وآفاقه المستقبلية. وعليه يمكن القول إنَّ الموقف الرسمي من قيام الحرب العراقية – الإيرانية، اتسم بما يأتي:

- التذبذب وارتباط المواقف بحقائق التوازن والقطيعة الثنائية وقواعد النفوذ الدولي.
- لم يكن الإدراك السوفيتي من السِّعة والشمول في توضيح مقاصده الفكرية والسياسية مع العراق لمعرفة دوافعه في تحديد مواقفه الرسمية.
- السِّمَة البارزة للمواقف السوفيتية اتسمت بالحياد، وهو العنصر الأساس لمواقف السوفيت الرسمية مع العراق، وامتد هذا الموقف مع إيران أيضاً، والراجح أنَّ السوفيت عملوا على الحفاظ على علاقتهم مع كِلا الدولتين وفقاً لرؤيتهم المستقبلية متناسين طبيعة علاقاتهم مع العراق وإرثها التاريخي على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري.
- افتقرت المواقف إلى القرار السياسي المرتبط بالقيادات السوفيتية على المستوى السياسي والحزب الشيوعي السوفيتي، إذ لم يظهر بنحوٍ واسع تصريحات للمسؤولين السوفيت في تحديد تلك المواقف.
- تأثرت تلك المواقف بالاتجاه الغربي وفي مقدمة موقف الولايات المتحدة من ذلك الحرب ومحاولة التقارب معها الذي حمل في طياته المحافظة على المصالح المشتركة ومراكز النفوذ لكِلا الطرفين.
- امتاز الموقف الرسمي السوفيتي

بميزة مركَّبة لامتناع مصادر القرار السوفيتي وصُنَّاع السياسة الخارجية بأنَّ الحرب حدثت في بيئة صعبة للغاية يصعب التحرك بهِ، ممَّا جعلها من الحذر المتزايد ممَّا انعكس على ذلك الموقف وتحديداً مقوماته الصحيحة، وهو ممَّا أخفى عليه التوجه إلى الحيادية في موقفها وهو الأقرب إلى صيغ التفاهم بين الدولتين الذي كان يجب عليهم القيام بإيقاف الحرب وعدم استمرارها، على الرغم من ذلك كان يفترض إخضاع تلك المواقف إلى تفعيل لتحديد سلوكها الخارجي مع العراق، الذي لا بدَّ أن يجعل السوفيت يتجاوزن مرحلة الاستيعاب لتطورات الحرب والتكيف مع نتائجها لغرض تحديد موقفها مع العراق لأداء دورها المطلوب، ثمَّ القيام بدورها الدولي كقوة عظمى لها دورها ومصالحها في المنطقة سواءً مع العراق وإيران.

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد سليم البرهان، اللوبي الصهيوني والإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٥٠)، القاهرة، ١٩٩٠.
- جيمس دورتي، روبرت بالشغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: وليد عبد الحي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٥.
- جمال علي زهران، الدور الروسي في توازن أمن الخليج العربي والسياسة الدولية، العدد (١٢٢)، ١٩٩٥.
- جيوفر روبرت اليستر ادوارد، المعجم الحديث للتحليل السياسي، ترجمة: عبد الحليم الحلبي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩.
- جهاد مجيد، حلف بغداد، مكتبة النهضة العربية للنشر والتوزيع، ط٢، بغداد، ١٩٨٦.
- حميد حمد السعدون، جيوبوليتيكية لخارطة العراق، مجلة أوراق دولية، العدد (١٣)، مركز الدراسات الدولية، بغداد، ٢٠٠٤.
- سمير إسماعيل حسن، السياسة الأمريكية والسياسة السوفيتية تجاه الحرب العراقية الإيرانية، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨١.
- عبد الحليم أبو غزالة، الحرب العراقية الإيرانية، القاهرة، ١٩٩٣.
- عبد المناف شكر النداوي، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٤٤-١٩٦٣، بغداد، ١٩٨٠.
- فيبي مار، تاريخ العراق المعاصر ١٩٢١-٢٠٠٣، ترجمة: مصطفى نعمان، دار ومكتبة أوراق، بغداد، ٢٠٢٠.
- محمد سليم، تحليل السياسة

الخارجية، ط١، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨.

• محمد سعيد الصحاف، العراق والدول الكبرى، وقائع المؤتمر العلمي السنوي لمركز الدراسات الدولية، العدد ٣، جامعة بغداد، ١٩٩٧.

• محمد محمد الحيدري، تاريخ العراق المعاصر ١٩٧٩-١٩٨٨.. دراسة وتحليل، المركز العراقي للمعلومات والدراسات، بيروت، ٢٠١٦.

• محمود علي الداود، الدبلوماسية العراقية – المسيرة والآفاق علاقات العراق الدولية وانعكاساتها على الأداء السياسي، المؤتمر العلمي الثاني لقسم الدراسات، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٢.

• محمد علي كاظم، صراع القوى السياسية في عهد عبد الكريم قاسم ١٩٥٨-١٩٦٣، مكتبة النهضة العربية، بغداد، ١٩٨٤.

• مصطفى سلامة حسين، العلاقات الدولية – النظام الدبلوماسي والقنصلي، حقوق الإنسان، تنمية دول العالم الثالث، تسوية المنازعات الدولية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤.

• منعم صاحب العمار، العلاقات العراقية – الروسية والبحث عن أنموذج واقعي لتأطير تفاعلاتها، مجلة دراسات إستراتيجية، العدد الثالث، وقائع المؤتمر العلمي السنوي لمركز الدراسات الدولية، بغداد، ١٩٩٧.

• مؤيد إبراهيم كاظم، الحرب العراقية وآثرها على الأمن القومي العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، ١٩٩٥.

• وكالة تاس السوفيتية، ١٩٨٠.

• وكالة تاس السوفيتية، ١٩٨١.

- Co, R, Huna The united nations, Iran and Iraq How peace making changed, New York, 1994.
- Hester. A., (international flow) En merill-J-And fissh H. Cels, Internl-Hardl communication, N.Y, Hasting House , publishers, 1976.
- James Rosenu, World politics, an introduction New York, The fress, 1976.
- Neomi Bailix, foreign policy markes and their national role conception, international studies quarterly.

الهوامش

1- see for: Neomi Bailix, Foreig policy Markes and their National role Conception, international studies quarterly, vo.24, No.4 (Dec, 1980), p.532-554;

محمد سليم، تحليل السياسة الخارجية، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٨، ص٤٨.

2- Hester. A, (international Flow) En Merill-J. And Fissh H. Cels), Interenl-Hardl communication (N.Y, Hasting House, pubishers, 1976, p.242-250.

3- Naemi, Bailix, op. cit., p.554; James Rosenu, world politics, an introduction, New York, The Fress press, 1976, p.16-17.

٤- جيوفر روبت اليستر أدوارد، المعجم الحديث للتحليل السياسي، ترجمة: عبد الحليم الجلبي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩، ص٣٩٩.

٥- جيمس دورتي، روبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: وليد عبد الحي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٥، ص٦١، ٨٥؛ فرانسيس فوكاياما، بناء الدولة والنظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الواحد والعشرين، نقله إلى العربية: حجاب الإمام، مكتبة العبيكات، الرياض، ٢٠٠٧، ص١٤-١٧.

٦- محمد السيد سليم، المصدر السابق، ص٣٠-٣١؛ نغم نذير شاكر، العلاقات بين الشمال والجنوب في ظل الواقع الراهن، مجلّة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد (٢٤)، حزيران ٢٠٠٤، ص١٠٢.

٧- يدخل ضمن هذهِ المتغيرات، حريات التجارة وحمايتها ونزع السلاح من حيث زيادته أو تحديده واستعمال القوة أو تقييدها ويمنعها. يُنظر: مصطفى سلامة حسين، العلاقات الدولية - النظام الدبلوماسي والقنصلي، حقوق الإنسان، تنمية دول العالم الثالث، تسوية المنازعات الدولية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص٩-١٠.

8- Sherlock, politics and History and Gorbachev, Problems at communism, 1988, p.16, 42;

محمد سعيد الصحاف، العراق والدول الكبرى، وقائع المؤتمر العلمي السنوي، لمركز الدراسات الدولية ١٩٩٦-١٩٩٧، (مجلّة دراسات إستراتيجية، مركز الدراسات الدولية، العدد الثالث، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص١٣.

٩- كان أول وزير مفوض للاتحاد السوفيتي في العراق كرايكوري تيتوفيج، وتم تعينه في تشرين الأول ١٩٤٤ ووصل إلى العراق بداية عام ١٩٤٥. فيما تم تعيين السيد عباس مهدي في هذا المنصب في موسكو. يُنظر: عبد المناف شكر النداوي، العلاقات العراقية - السوفيتية، ١٩٤٤-٨/ شباط/ ١٩٦٣، بغداد، ١٩٨٠، ص٥٧.

١٠- منعم صاحي العمار، العلاقات العراقية - الروسية والبحث عن أنموذج واقعي لتأطير تفاعلاتها، مجلّة دراسات إستراتيجية، العدد الثالث، العراق والدول الكبرى، وقائع المؤتمر العلمي السنوي لمركز الدراسات الدولية الثالث ١٩٩٦، بغداد، ١٩٩٧، ص١٨٧؛ عبد المناف، شعر النداوي، المصدر السابق، ص٥٧.

١١- نبيل محمد سليم، رؤية لسياسة العراق الخارجية، المؤتمر العلمي السنوي الثاني عشر، نحو سياسة عراقية خارجية فاعلة في المحيط الإقليمي والدولي ١٧-١٨/ تشرين الثاني/ ٢٠٠٩، مركز الدراسات الدولية، بغداد، ٢٠٠٩، ص١-١٠.

١٢-المصدر نفسه، ص١٠.

١٣-محمود علي الداود، الدبلوماسية العراقية - المسيرة والآفاق، علاقات العراق الدولية وانعكاساتها على الأداء السياسيين، المؤتمر العلمي الثاني لقسم الدراسات، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٢، ص١٠-١١؛ وللتفصيل عن حلف بغداد، يُنظر: جهاد مجيد، حلف بغداد، مكتبة النهضة العربية للنشر والتوزيع، ط٢،

بغداد، ١٩٨٦.

١٤- سوسن، إسماعيل محمد، العلاقات العراقية - الروسية بين المتغير الأمريكي والإرث الروسي (مرحلة ما بعد الاحتلال)، مركز الدراسات الدولية، سلسلة دراسات إستراتيجية، العدد (٨٤)، جامعة بغداد، ص١.

١٥- المصدر نفسه، ص٤.

١٦- سمير مرقص، الإمبراطورية الأمريكية ثلاثية القوة والدين والثروة، شبكة المعلومات - الإنترنت على الموقع:

http//www.islamonline.net/arabic/politics2003

١٧- قارن ذلك مع: اثيناوي زيفانوف، دروس الحياة، ترجمة: عبد الكريم زيد وعاطف أبو حمرة، دار الشروق، عمان، ١٩٩٩، ص١٠٥-١٠٦.

١٨- محمود علي الداود، المصدر السابق، ص١١؛ وللتفصيل عن صراع القوى السياسية في العراق للمدة ١٩٥٨-١٩٦٣، يُنظر: محمد علي كاظم، صراع القوى السياسية في عهد عبد الكريم قاسم ١٩٥٨-١٩٦٣، مكتبة النهضة العربية، بغداد، ١٩٨٤.

١٩- آديت وائي، آيف بينروز، العراق.. دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية ١٩١٥-١٩٧٥، ترجمة: عبد المجيد حسيب القيسي، ج٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٩، ص٧.

٢٠- الإشارة هنا إلى الانقلاب الذي قاده حزب البعث ضد الزعيم عبد الكريم قاسم وقادته أو تصفيته مع قادته ومساعديه. للتفصيل عن الانقلاب، يُنظر: فيبي مار، تاريخ العراق المعاصر، ١٩٢١-٢٠٠٣، ترجمة: مصطفى نعمان، دار ومكتبة أوراق والمجلَّة، بغداد، ٢٠٢٠، ص٢٢٦-٢٣٠.

٢١-لانقلاب قام بهِ البعثيون، شارك فيه البعض من المدنيين والعسكريين الذين كانوا مقربين من النظام السياسي الذي قاده عبد الرحمن محمد عارف، ومنهم: عبد الرزاق النايف، وإبراهيم الداود، وسعدون غيدان، وشارك معهم البعض من قيادات الحزب الشيوعي. فيبي مار، المصدر السابق، ص٢٥١-٢٥٦؛ منعم صاحي العمار، المصدر السابق، ص١٨٧-١٨٨.

٢٢- منعم صاحي العمار، المصدر السابق، ص١٨٨. وللتفصيل عن إستراتيجيات وأهداف القوى العظمى في الخليج العربي والموقف السوفيتي منها، يُنظر: جمال علي زهران، الدور الروسي في توازن أمن الخليج العربي والسياسة الدولية، العدد (١٢٢)، ١٩٩٥، ص٤٨.

٢٣-الإشارة هنا إلى انتقال السلطة في العراق من الرئيس أحمد حسن البكر إلى صدام حسين على مستوى الحزب والدولة، وتوضح أنَّ انتقال السلطة كان قرار صدام، إذ لا يوجد دليل أنَّ البكر كان مستعداً للتنحي أو اتخاذه مبادرة بالانتقال الرسمي للسلطة. يُنظر: فيبي مار، المصدر السابق، ص٣٨٩.

٢٤- فيبي مار، المصدر السابق، ص٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٣.

٢٥- جاء في تبريرات النظام السياسي العراقي أنَّ سبب قيامه بالحرب وإلغاء اتفاقية الجزائر التي وقعت عام ١٩٧٥ وبحضور الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين وفي عهد الشاه محمد رضا بهلوي، لعدم التزام إيران بكل بنودها ومنها استرجاع الأراضي العراقية المحتلة من قبل إيران وخاصة مدن (زين القوس) و (سيف سعد)، ولاستعادة مياه شط العرب بالكامل والخوف من قيام إيران بتحريك الشيعة في العراق للقيام بالتمرد ضد النظام، فيما شكلت الرغبة في الحد من النفوذ في المنطقة وتحقيق الأمن القومي العراقي عوامل أخرى ووسائل لإقناع الآخرين. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: محمد محمد الحيدري، تاريخ العراق المعاصر ١٩٧٩-١٩٨٨.. دراسة وتحليل، المركز العراقي للمعلومات والدراسات، ج٤، بيروت، ٢٠١٦؛ مؤيد إبراهيم كاظم، الحرب العراقية وأثرها على الأمن القومي العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، ص٩٨ ؛ عبد الحليم أبو غزالة، الحرب العراقية الإيرانية، القاهرة، مصر، ١٩٩٣، ص٨٧.

٢٦- سمير إسماعيل حسن، السياسة الأمريكية والسياسة السوفيتية تجاه الحرب العراقية الإيرانية، منشورات

مركز دراسات الخليج العربي، السلسة الخاصة، (٦٠)، جامعة البصرة، ١٩٨١، ص١.

٢٧-المصدر نفسه، ص٢-٣.

٢٨-المصدر نفسه، ص٣-٤.

29- Co, R., Hune The united Nations, Iran and Iraq, Howpeac Making changed , New York, 1994, p.102-116.

30-Ibid., p.118.

٣١- وكالة تاس السوفيتية، ٢٥/ ٩/ ١٩٨٠.

٣٢- المصدر نفسه، ٢٦/ ٩/ ١٩٨٠.

٣٣- وكالة تاس السوفيتية ٢١/ ٩/ ١٩٨٠.

٣٤- البرافدا، أزفستا، ٢٨/ ٩/ ١٩٨٠.

٣٥- البرافدا، أزفستا، ٣١/ ١٠/ ١٩٨٠.

٣٦- المصدر نفسه، ٢/ ١١/ ١٩٨٠.

٣٧- أحمد سليم البرهان. اللوبي الصهيوني والإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، "مجلَّة السياسة الدولية"، العدد ١٥٠، القاهرة، ص٦٤. وللتفصيل عن الأهمية الإستراتيجية والموقع الجيوبولتيكي للعراق، يُنظر: حميد حمد السعدون، نظره جيوبولتيكية لخارطة العراق، "مجلَّة أوراق دولية"، العدد(١٣)، مركز الدراسات الدولية، بغداد، ٢٠٠٤.

٣٨- الموقع الإلكتروني:

htt://www.islamonline.net/arabic/politices,2003.

٣٩- منعم صاحي العمار، المصدر السابق، ص١٩١.

٤٠- البرافدا، ١٥/ ١١/ ١٩٨٠.

٤١- الازفستيا، ٢٠/ ١١/ ١٩٨٠.

٤٢- الازفستيا، ٢٥/ ١١/ ١٩٨٠.

٤٣- المصدر نفسه، ١٥/ ١٢/ ١٩٨٠.

٤٤- المصدر نفسه، ٢/ ١٢/ ١٩٨٠.

٤٥-البرافدا، ٦/ ١/ ١٩٨١.

٤٦- وكالة تاس، ٢٥/ ١/ ١٩٨١.

٤٧- وكالة تاس، ٦/ ٢/ ١٩٨١.

٤٨- البرافدا، ٢٥/ ٢/ ١٩٨١.

٤٩- المصدر نفسه، ٦/ ٢/ ١٩٨١.

٥٠- المصدر نفسه، ٢٠/ ٣/ ١٩٨١.

٥١- المصدر نفسه، ٢٠/ ٣/ ١٩٨١.

٥٢- محمد سعيد الصحاف، المصدر السابق، ص١٦.

٥٣- البرافدا، ٢٥/ ٣/ ١٩٨١.

٥٤- وكالة تاس، ٢/ ٥/ ١٩٨١.

٥٥- المصدر نفسه، ١٢/ ٥/ ١٩٨١.

٥٦- البرافدا، ٢٥/ ٨/ ١٩٨١.

٥٧- وكالة تاس الرسمية، ٣٠/ ٩/ ١٩٨١.

٥٨- المصدر نفسه، ص١٢.

٥٩- المصدر نفسه، ٢/ ١٠/ ١٩٨١.

٦٠- المصدر نفسه، ٦/ ١٢/ ١٩٨١.

٦١- وكالة تاس الرسمية، ٥/ ١/ ١٩٨٢.

٦٢- البرافدا، ١٥/ ١/ ١٩٨٢.

٦٣- الحياة الدولية السوفيتية.

٦٤- وكالة تاس الرسمية، ٢٥/ ١/ ١٩٨٢.

٦٥- البرافدا، ٢/ ٣/ ١٩٨٢.

٦٦- الناطق الرسمي للحكومة السوفيتية، ٢٥/ ٤/ ١٩٨٢.

67- Co, R. Hune, The United Nations, Iran and Iraq, How peace Making changed, New York, 1994, p.18.

٦٨- البرافدا، ٥/ ١٠/ ١٩٨٥.

٦٩- وكالة تاس الرسمية، ٦/ ١٠/ ١٩٨٥.

٧٠- المصدر نفسه، ٢٥/ ١٠/ ١٩٨٥.

The official Soviet position on the outbreak of the Iran-Iraq war (1980-1988) In the Soviet press

Dr. Alaa Abd al-Kathum Jabbar

University of Karbala / College of Islamic Sciences

Abstract

The international, regional and foreign Soviet political factors in the region contributed to determining the official position on the Iran-Iraq war of 1980-1988. This is illustrated in light of its association with the policy of international balance and the strategic interests of the major countries and the Soviet Union, especially that making foreign policy and determining its positions for a country requires combining political, strategic and international constants and the extent to which it adheres to the necessary need for mutual dependence to determine those positions.

Despite the age of Iraqi-Soviet relations, which date back to 1944, the prominent feature of them was characterized by fluctuation and the policy of interests and international and internal variables of both countries, as Iraq is known after the establishment of its state in 1921 AD was associated with British and Western policy. This was considered the first challenge that faced these relations and determined their official paths and positions in light of the Soviet awareness to preserve its interests in Iraq and the region, which was confirmed by the Soviet press, which reflected these positions and official trends. The Iraqi-Iranian war that took place in the eighties of the last century was a prominent manifestation in clarifying this and the extent to which the Soviets were close to international positions in general, until those positions were described as neutral is the opposite of what the Soviets should have done from intervening on the side of one of the parties, which led to the growing American role and the promotion of its interests in Iraq and Iran, and other justifications granted by the Soviets to themselves for the parties to the conflict, regardless of the constants and objective bases for determining those positions, meaning In general, the war revealed the pivotal role of the major powers in dealing with events and their developments.

Keywords: Iraqi-Soviet relations, Soviet Union position, Iran-Iraq war, Soviet press.